تاريخ ابن حسان

تأليف العلامة القاضي المؤرخ

الشيخ عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن حسان

المولود بتريم الغناء بحضرموت سنة (٧٣٣هـ)

والمتوفى ببلدة ريدة المشقاص سنة (٨١٨هـ)

تقديم

أ.د. فيصل الحفيان — أ.د. صادق عمر مكنون السقاف

د. أحمد هادي باحارثة — المهندس محمد أبو بكر حسان

دراسة وتحقيق

د. محمد بن أبي بكر بن عبد الله باذيب

الجزء الأول

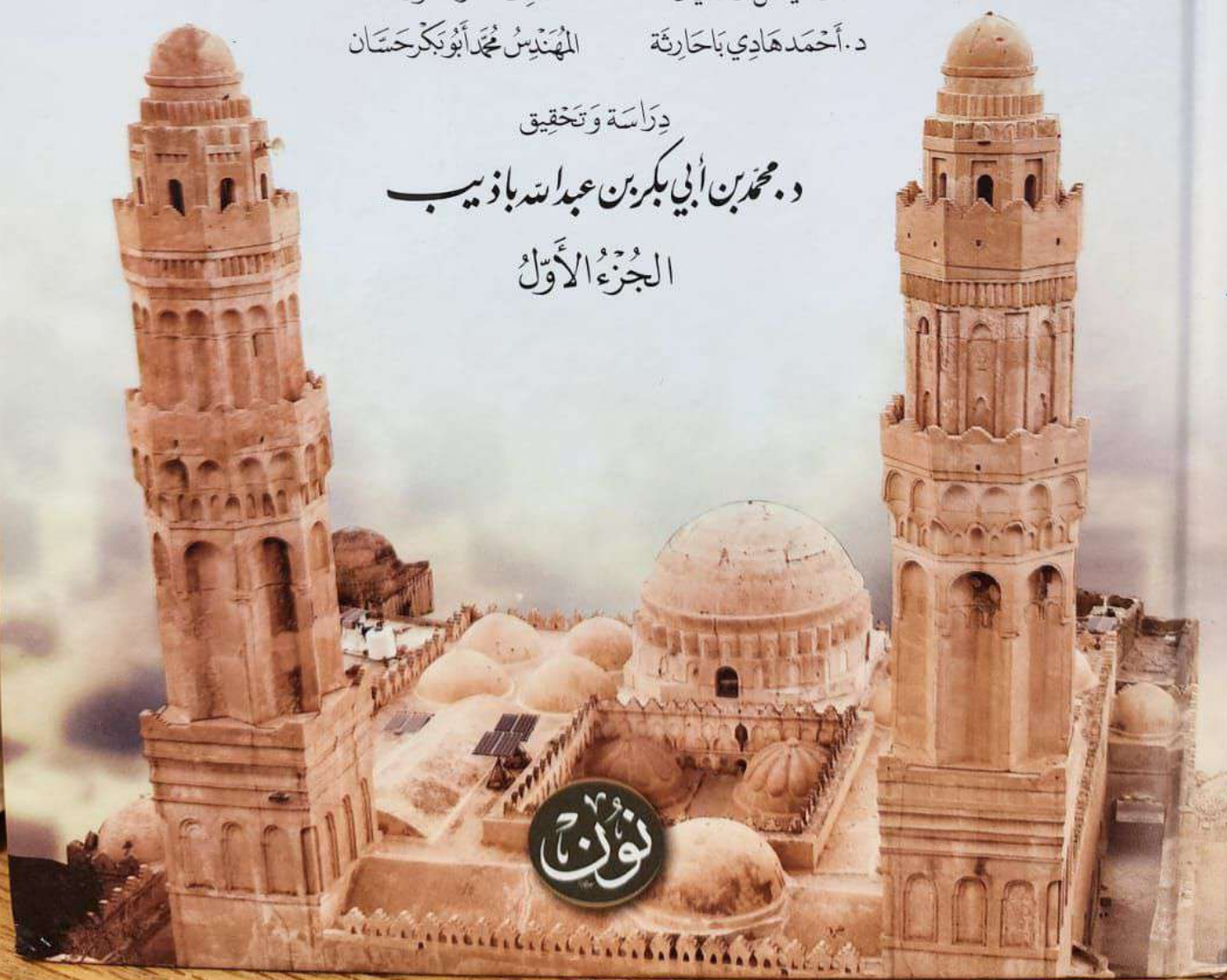

نون

بين يدي «تاريخ ابن حسان»

بقلم المهندس محمد أبو بكر حسَّان

عضو المجلس المحلي بمحافظة حضرموت
وإمام مسجد حسان بسيؤن

الحمد لله حمداً يوافي نعمَه ويكافئ مزيدَه، والصلاةُ والسلام على سيِّدنا محمّدٍ وعلى آله وأصْحابه وأتباعِه، وكل من بسُنَّته اقتدى.

وبعدُ؛ فما كنتُ أتخيل أن يأتي وقتٌ أقدِّم فيه كتاباً للقُرَّاء؛ لأنني لستُ أهْلاً لذلك، ولكن طلبَ مني الأولادُ: محمد عبد الرّحمن أبو بكر حسَّان، وأحمد سالم محمد باطاهر، أن أقدِّم لكتاب بذلُوا جهْداً كبيرا في انتزاعِه من عالم المفقُودات إلى عالم الموجُودات، فلم أرَ بُداً أن أستجيبَ لطلبهم، تشجيعاً لهم على ما بذلوه.

فهذا الكتابُ الذي بين أيدينا، كتاب «تاريخ ابن حسان»؛ كتابٌ في التاريخ، وكتُب التاريخ لها أهميةٌ قصْوَى، كما قال ابنُ الأثير في مقدمة «تاريخه»، وعلْمُ التاريخ من أجلِّ العلومِ الإنسانية، وأدْعاها للعناية. فبِه يعرِفُ الإنسَان مكانَه من السلسلة الإنسانية، ومكانته في الهيئة الاجتماعية، وهو فوقَ ذلك محلُّ العِبَر، ومنَار العِظات، ومصْدَر العلم بالسنن الإلهية في تكوينِ الأمم وحَلِّها، وإصْعَادها وإهباطِها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر: ٤-٥].

قال ابنُ خلدون: «**اعلَم** أنّ فنَّ التاريخ فنٌ عزيزُ المذهبِ، جَمُّ الفوائد، إذْ هُو يوقفنا على أحوال الماضِينَ في أخلاقهم، والأنبياءِ في سِيَرهم، والملوكِ في دُوَلهم وسياسَتهم، حتى تتمَّ فائدة الاقتداءِ في ذلكَ لمن يروم أحوالَ الدِّين والدنيا. والجاهِلُ بعلْم التاريخِ راكِبُ عَمْياء، وخابِطُ عشواء، ينسب إلى من تقدم أخبارَ من تأخَّر، ويعْكِسُ ذلك ولا يتدبَّر، ولا يفرق بين صحَابي وتابعي، وحنَفي ومالكي، ولا بين خليفة وأمير وسلطان»[(١)].

فالهدَفُ الأسْمَى من كتابة التاريخِ هُو أخْذُ العِبر من الماضي، لفهم الحاضِر، واستشراف المستقبل. ففي التاريخ أهميةٌ كبيرةٌ في صنع مستقبل الأمة، لذلك يجبُ على الأمة أفراداً ومؤسَّساتٍ ودُولاً، أن تمتلِكَ الحدَّ الأدنى من المعْرِفة والوعي بالتاريخ، وتَوظيفه خير توظيفٍ في رَسْم المستقبل. كما أجادَ أبطالنا الأشاوسُ في فهم التاريخ، وتوظيف السيرة النبوية في الارتقاء بأدائها، حتى أذهلوا العالم، وقال قائلُهم: ما واجهنا مشكِلةً إلا اتجهنَا إلى السيرة النبوية، فوجَدْنا فيها الحلَّ. لقد أيقنوا أن حامِلَ القرآن لا ينكسِر، كما قال سالم مولى أبي حذيفة: «بئس حاملُ القرآن أنا إنْ أُتِيتم من قِبلي»[(٢)]. فاهتمُّوا بحفاظ القران، وجعَلُوا منهم كتيبةً كسَروا بها جيشاً ادَّعى أنه لا يقهر. وأيقنوا أن عنصُر المفاجأة من أساسيات النصر، فكما فاجأ النبيُّ ﷺ قريشاً بالخندق، فقد فاجأوا أعداءَهم بخنادق محكَمةٍ. وأيقنوا أنه لا يمكن أن ينتصر جيشٌ يشتري سلاحَه من عدوّه، فصنّعُوا سلاحهُم وطوّرُوه بما يشبه الخيالَ، فنتج عن هذا الإعداد بطولاتٍ ما سمع الناس بها إلا من عهود الصحابة فمن بعدهم من السلف؛ وهكذا، فالتاريخ يعيدُ نفْسَه إن أحسَنَّا استيعابه.

ومن حُسن حظّنا، نحن الحضَارم، خاصّةً دارسِي التاريخ وهُواته؛ أن ظهر لنا كتابانِ جليلان في التاريخ، كانا من المفقُودات،

(١) ابن خلدون، تاريخ العبر: (١/ ١٣).
(٢) ابن سعد الزهري، الطبقات الكبرى: (٣/ ٣٧٧).

وطالما تمنَّاهُما المؤرِّخون، وكان الفضْلُ بعد الله سبحانه وتعالى لإبراز الكتابين من غياهب المجهُول:

أولاً: للأستاذ عبد الله بن محمّد الحبشي، الذي بذَل جُهداً غير عادي في لم شتات الأوراقِ المبعْثَرة، وأخرج منها كتاباً سماه «البهَاء»، وعزاه إلى المؤرّخ عبد الرحمن بن علي حسَّان، وللكتابِ قصّةٌ عجيبة وغريبة ذكرها في (مقدمته)[1]، فجزاه الله خيراً.

وثانياً: للولد محمد عبد الرَّحمن حسَّان، بمساندة الولد أحمد سالم باطاهر، فقد بذل الولدُ محمّد جهْداً غير عادي، بتوفيق من الله سبحانه وتعالى، في استخراج كتاب «تاريخ ابن حسان» الكبير، من (مكتبة بودِليان) في بريطانيا، والقصة ذكرها المحقّق ضمن تمهيده للكتاب.

وبعد اطلاعي على التمهيد والدراسة التي كتبها المحقق الدكتور محمد أبو بكر باذيب، فقد وجدتُه أبدعَ في ذلك التمهيد أيما إبداع، وبذلَ جهْداً غير عادي، ليعطي القارئ صورةً واضِحةً عن المؤلفِ: عصْره، أسرته، ونتاجه العلمي، ثم عَن الكتاب وأهميته.

وقد خرج المحقق المذكور بنتائجَ في غاية الأهميةِ لدارس التاريخ؛ ومن وجهة نظَري القاصِرة، أرى أنّ جميعَ تلكَ النتائج التي خرج بها صحيحة.

النتيجة الأولى: أن لابن حسَّان تاريخٌ واحِد، وليسَ ثلاثةَ تواريخ، أرى أن الأدلةَ التي استدلَّ بها مقنعةٌ.

والنتيجة الثانية: أن «تاريخ البهَاء» الذي خرج أخيراً، والذي عزاه الأستاذ عبد الله الحبشي لابن حسَّان؛ ليس لابن حسَّان، إنما هو «تاريخ الفقيه محمد عبد الرحمن باشراحيل»، كما هو مكتوبٌ في نسخة الكتاب، والأدلة التي ذكرها الحبشي قد فنَّدها باذيب وهي كذلك مقنعةٌ.

---

(١) البهاء: (ص ٢٦).

والنتيجةُ الثالثة: أن عبد الرَّحمن بن علي بن حسان لم يكن إباضياً، بل كان سنياً شافعياً، وقد أفاد وأجادَ في تأكيد ذلك. وحجة الذين قالوا بإباضيته: أنه اشتغل قاضياً في بلاد المشقاص الذي كان تحت حكم أبي دجانة، وأبو دُجَانة إباضيٌ، كما قال بعضهم. وحتى لو سلَّمنا أنه كان قاضياً لحاكم إباضي، فلا يعني أنه كان أباضياً. وقد عمل الكثيرُ من القضاة السُّنِّيين تحت حكم الحزب الاشتراكي، فلا يعني أنهم أصبحوا اشتراكيين، فهذه حجة واهيةٌ مدحُوضَة بالأدلة التي أوردها الدكتور باذيب، ومنها أن مصنفات القاضي ابن حسان كانت كلها تدور على فقه المذهب الشافعي.

وذكر الدكتور باذيب في تمهيده لهذا الكتاب: أن «تاريخ ابن حسان» من أقدم التواريخ الحضرمية، كما ذكر ذلك وأكده الأستاذ الحبشي حيثُ قال: «وأكاد أجزم أنه الوحيد (يعني: عبد الرحمن بن علي بن حسان)، الذي تصدَّى لكتابة التاريخ في حضرموت، ولم يسبقه أحدٌ قبله، سوى مؤرِّخي اليمن القدامَى، الذين ذكَرُوا حضرموت في تواريخهم»[1].

وأجَدّد الشكر لمحقّق هذا الكتاب، الدكتور محمد أبو بكر باذيب، لقاءَ جُهدِه الكبير في إعطاء صورة واضِحة مفصَّلة عن المؤلف والكتاب، تساعد قارئ الكتاب على فهمِه واستيعابه. والله الموفق لما فيه الخير والصلاحُ، ويجزي كل من ساهم في إخراج هذا الكتاب الأجر والثواب الجزيل.

محمد أبو بكر محمد حسَّان

بتاريخ ١٤٤٥/٧/٢٠ = الموافق ٢٠٢٤/٢/١

(١) البهاء: (ص ٦).